اسم الدرس : تفسير سورة الفتح (٣) | الآيات [٨ : ١٠]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

❖ مقدمة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نستكمل بإذن الله عز وجل ما بدأناه من وقفات مع سورة الفتح، وأسأل الله عز وجل أن يجعلها فتحًا لنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا، كما أسأله أن يفتح علينا ويوفقنا ويهدينا إلى صراطه المستقيم سبحانه وتعالى.

نؤكد دائمًا على أنه لا بد للإنسان أن يستحضر قيمة مجالس تدارس القرآن، وأن لها مكانة عند الله عز وجل، وأن هذه المجالس -التي أسأل الله عز وجل أن يتقبلها منا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم سبحانه وتعالى- يحبها الله سبحانه وتعالى، ولا سيما إذا كانت في بيت من بيوته -في مساجده- سبحانه وتعالى، فتحفها الملائكة، وتتنزل علينا الرحمة، وتغشانا السكينة، ويذكرنا الله -بإذنه وفضله وكرمه- فيمن عنده سبحانه وتعالى. وأسأل الله عز وجل أن يجعل لنا من هذه الأجور أعظم نصيب.

كنا قد توقفنا عند الآية الثامنة من سورة الفتح عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * لِّتُؤۡمِنُواْ﴾[الفتح: ٨]، وقمنا بشرح هذه الآية من قبل، لكن سنعود لها مرة أخرى لأن في الآية التي تليها لام متعلقة بها ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[الفتح: ٩]، وقرئت بالوقف عند ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، وسنذكر لاحقًا لماذا هناك خلاف في مسألة الوقف، وأين يجب عليك أن تقف وأنت تقرأ هذه الآية.

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم مؤكدًا: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾، وذكرنا أن الله عز وجل أرسل النبي صلى الله عليه وسلم وقد تكفل سبحانه بحفظ رسالته، فكما أننا أرسلناك، فكذلك فتحنا لك، وقلنا أن هذه الآيات هي التي تكرر فيها التوكيد بحرف (إن).

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾، والنبوة لها وظائف: ﴿ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾

وذلك حتى عندما نسمع هذا الكلام، ونرى ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عندما نقرأ سيرته وأحاديثه صلى الله عليه وسلم، نتساءل ما هو المطلوب منا نحن كمؤمنين؟

فالخطاب كان موجهًا للنبي صلى الله عليه وسلم بالمفرد ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾، ثم أصبح الخطاب للجمع ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ﴾، وقيل أن هذه اللام هي لام التعليل، أي أن الغاية من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم، ووصول أخباره إلينا ليست مجرد سردها والاستماع إليها والاستمتاع بها فحسب، بل

لنكون إيجابيين ونتحرك ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ وسنقوم بشرح معاني هذه الأفعال لاحقًا.

تصحيح مفهوم الدين لدينا

إذًا؛ تصور الدين ليس هو مجرد التلقي، وإنما تتلقى من أجل أن تتحرك وتنفذ، ولكي تؤمن أولًا، ثم تؤدي أفعالًا ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ﴾، ثم مع الملك سبحانه وتعالى ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ، وبعد أن تقرأ هذه الآية وتستشعر بقلبك عظمة النبي صلى الله عليه وسلم، وتتساءل عن كيفية نصرته، تأتي الآية التالية لتبين لك كيف تنصر النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تقوم بحق ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ﴾.

ونحن أحيانًا يكون فهمنا للدين أنه مجرد مصحة نفسية، فنلجأ إليه ليعالج لنا مشاكلنا النفسية! مثلًا يأتي شخصٌ حزين بعض الشيء يطلب منك أن تحدثه قليلًا عن الدين، أو شخصٌ رسب في الامتحان، فيريدك أن تحدثه عن الدين لكي ينسى الدنيا، وينسى ما هو فيه من حزن، فتأتي أنت وتواسيه، وتخبره بأن الدنيا حقيرة، فيؤكد كلامك ويقول لك بالفعل هي حقيرة، وذلك حتى ينسى ما حدث معه، ثم بعد ذلك تراه يستمتع بالدنيا!

فالدين ليس لمجرد أن تعالج مشاكلك النفسية وحسب، فتجد أحدهم عندما تحدث معه مشكلة يلجأ إلى جزء من الدين يناسب حالته، ليخفف عنه وينسى ما حدث معه من مشاكل، ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد، أو تراه يتمسح بشيء ليحل له مشكلته، فيقبل المصحف -مثلًا- ويضعه على رأسه، فيشعر بأنه شخص جيد وعلى علاقة جيدة بالله!

كلا؛ هذا فهم خاطئ للدين، فالدين ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أدى وظيفته على أكمل وجه، وجاء دورك الآن لتكمل هذه الرسالة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية)[1]، و"عني" قيل إنما حرف تحمل، فعليك أن تحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم وتنشر رسالته.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: (رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)[2]، **فهذه أمانة**، ولفظ الأداء (فأداها) يأتي مع الأمانات، فكل آية أو حديث تسمعه هو أمانة لا بد أن تنقلها.

---

[1] (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)
الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٣٤٦١ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

[2] (رحم الله إمرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)
الراوي: -- | المحدث ابن القيسراني | المصدر: معرفة التذكرة | الصفحة أو الرقم: ١٥٤ | خلاصة حكم المحدث: **فيه ابن كثير يروي المقلوبات ولهذا الحديث طريق غير هذا**

إذًا؛ مفهومنا لتلقي الدين مفهوم خاطئ، لأنك تنتمي للآية التي قبلها ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وانضمامك وإيمانك بالنبي صلى الله عليه وسلم، هو بمثابة توقيعٍ منك بأنك وافقت وارتضيت أن تكون من جنود الله، فأنت في معركة –كما سنذكر فيما بعد– وهنالك بيعة، وهناك من وفَّى بالبيعة، ومن نكث بها –والعياذ بالله– ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾.

إذًا، فأول مفهوم سنتحدث عنه اليوم هو: تصحيح مفهوم الدين لدينا.

للأسف أصبح لدينا الآن طرح يشبه الطرح التبشيري للنصارى، فتراهم –مثلًا– ينشرون صورة لطفل صغير يبكي مكتوب عليها بعض الكلمات بمعنى أن الله سيحل لك مشاكلك، وأنه سبحانه يربت عليك، أو مثلًا صورة لوردة ساقطة على الأرض وهناك من يلتقطها ويقوم بإزالة الغبار عنها لتعبر عن أن مشاكلك ستحل، أو أن الزجاج الذي كُسِرَ سيعود كما كان... بحيث تصلك فكرة أن الدين سيحل لك مشاكلك!

أنا لا أنكر أن هذا يوجد في الدين، لكن هذا ليس كل الدين، أنا لا أنكر أن من يدخل في هذا الدين سيجد الأمن والطمأنينة والسكينة في أحلك المواقف، مثلما ذكرنا أن السكينة قد نزلت في أشد المواقف اضطرابًا، لكن ليس هذا هو الدين فحسب! وإنما الدين يحتاج منك إلى بذل وتضحية، فستأتي مواقف في الدين، مثلما قال الراهب للغلام: (إنك ستبتلى)[٣] –نسأل الله العافية ولا نتمنى ذلك–، لكن لا بد

[٣] كانَ مَلِكٌ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، وَكانَ له سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قالَ لِلْمَلِكِ: إنِّي قدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكانَ في طَرِيقِهِ، إذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فأعْجَبَهُ فَكانَ إذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلكَ إلى الرَّاهِبِ، فَقالَ: إذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إذْ أَتَى علَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقالَ: اليومَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فأخَذَ حَجَرًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إلَيْكَ مِن أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِه الدَّابَّةَ، حتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهِبَ فأخْبَرَهُ، فَقالَ له الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليومَ أَفْضَلُ مِنِّي، قدْ بَلَغَ مِن أَمْرِكَ ما أَرَى، وإنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائِرِ الأدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كانَ قدْ عَمِيَ، فأتَاهُ بهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقالَ: ما هَاهُنَا لكَ أَجْمَعُ، إنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إنَّما يَشْفِي اللَّهُ، فإنْ أَنْتَ آمَنْتَ باللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ باللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فأتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إلَيْهِ كما كانَ يَجْلِسُ، فَقالَ له المَلِكُ: مَن رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قالَ: رَبِّي، قالَ: وَلَكَ رَبٌّ غيرِي؟ قالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فأخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الغُلَامِ، فَجِيءَ بالغُلَامِ، فَقالَ له المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قدْ بَلَغَ مِن سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا، إنَّما يَشْفِي اللَّهُ، فأخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بالرَّاهِبِ، فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَدَعَا بالمِئْشَارِ، فَوَضَعَ المِئْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بجَلِيسِ المَلِكِ فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى فَوَضَعَ المِئْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ به حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلَامِ فقِيلَ له ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به إلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا به الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ، وإلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا به فَصَعِدُوا به الجَبَلَ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ، فَرَجَفَ بهِمِ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به فَاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا به البَحْرَ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ وإلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا به، فَقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ:

من أن تبذل، وتنصر النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم تنصره، فلِمَ تؤمن به إذًا؟ وما هي قيمة إيمانك به؟

لذلك عندما ذكر الله سبحانه **الإيمان**:﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، **ذكر تبعات هذا الإيمان** ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فهنالك تبعات لهذا الإيمان، ولا بد لك من أن تقبل هذه التبعات وتُقدّمها، وإن لم تفعل ذلك فقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[التوبة: ٤٠]، وهذه الآية نزلت أثناء الهجرة، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم وحده مع أبي بكر الصديق في الغار. فالله قد نصر النبي صلى الله عليه وسلم في أشد مواقف الاستضعاف، وهو سبحانه ليس بحاجة إلى نصرتك أنت. فأنت عندما تنصر النبي صلى الله عليه وسلم إنما تفعل هذا من أجلك ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾[الفتح: ١٠].

لذلك فإنّ من القواعد الهامة جدًا التي رأيناها رأي العين بعد استقراء نصوص القرآن والسنة، وتذكرناها أكثر بعد سماعنا لكثرة موت الشباب وموت الفجأة –فقد سمعت بالأمس عن عدة حوادث متتابعة حدثت في يوم واحد: خبر موت شاب، ثم بعده آخرون، ثم طبيب وزوجته، ثم موت بعض الشباب في حادثة أسأل الله أن يرحمهم جميعًا–، قاعدة: "ما لا يقوم به العلماء يقوم به البلاء"، و"ما لا يقوم به العلماء" قد يكون سببه عجزًا أو تكاسلًا، فأحيانًا يُحال بين الداعية وبين الوصول إلى الناس، أو يتكاسل الداعية عن نشر دين الله –مثلنا نحن–، وعندما لا يقوم الدعاة والعلماء بدورهم يأتي البلاء، فما حدث مثلًا بالأمس يؤثر في الشباب أكثر مما يفعله ألف درس يتحدث عن موت الفجأة، حيث توفي بعض الشباب في حادثة، وقام أحد أصدقائهم بالدعاء لهم، ونشر أخبارهم، ثم توفى الله هذا الشخص مساء نفس اليوم ودفن في اليوم نفسه، سبحان الله! بالفعل "ما لا يقوم به العلماء يقوم به البلاء".

كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقالَ لِلْمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بقَاتِلِي حتَّى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ به، قالَ: وَما هُوَ؟ قالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي علَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِن كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: باسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمع النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ علَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبْدِ القَوْسِ، ثُمَّ قالَ: باسْمِ اللهِ، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ في مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقالَ النَّاسُ: آمَنَّا برَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا برَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا برَبِّ الغُلَامِ، فَأُتِيَ المَلِكُ فقِيلَ له: أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ، قدْ آمَنَ النَّاسُ، فأمَرَ بالأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقالَ: مَن لَمْ يَرْجِعْ عن دِينِهِ فأحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قيلَ له: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمعهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقالَ لَهَا الغُلَامُ: يا أُمَّهْ، اصْبِرِي فإنَّكِ علَى الحَقِّ..

الراوي: صهيب بن سنان الرومي | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم:٣٠٠٥ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

لذلك إن لم نحمل هم هذا الدين، ونؤدي هذه الوظائف ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ و﴿يُبَايِعُونَكَ﴾، فسيستبدل الله عز وجل هذا الجيل، فالله سبحانه وتعالى غني عن البشر، ينصر دينه ولو بالرجل الفاجر، ولا بد من أن نفهم أنّ هذا إنما هو من أجلنا، فنحن من هم بحاجة إلى ذلك، أما هذا الدين فسيتم بنا أو من دوننا.

وفي الدعاء الذي نردده بعد كل أذان: (اللهم رب هذه الدعوة التامة)[٤]، فالأمر إذًا سيتم، لكنّ السؤال هو: ما الذي سأفعله أنا من أجل أن يتم هذا الدين؟، وما هو دوري؟!

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾، لماذا؟ ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. دعوة النبي صلى الله عليه وسلم هي للتبليغ عن الله وتقريب الناس إلى الله، ولذلك قال: ﴿لِّتُؤۡمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أولًا.

ثم جاءت هذه الآية العجيبة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

واختلف العلماء في عائدية الضمائر في لفظتي ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فهل "الهاء" في ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائدة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائدة على المولى عز وجل؟ وإجماعًا فإنّ "الهاء" في لفظة ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائدة على لفظ الجلالة –أي تسبحوا الله–، ولكن الخلاف في لفظتي ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فكلمة ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ جاءت مع أنبياء بني إسرائيل –في سورة المائدة–، والتوقير يأتي مع البشر، وقد جاء أيضًا مع الملك سبحانه في الآية الكريمة: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾[نوح: ١٣]، في سورة نوح.

فأصحاب الرأي الأول، القائل بأن الضمائر في ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعود على النبي صلى الله عليه وسلم استحبوا القراءة بالوقف على قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، ثم يكون الابتداء من قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

بينما أصحاب الرأي القائل بأن الضمائر في ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ كلها تعود على الله سبحانه وتعالى، قد قرؤوا الكلمات الثلاث بالوصل.

والله سبحانه وتعالى كان قادرًا على حسم هذا الخلاف –فهو القادر على كل شيء–، وكان من الممكن أن يوضح علام تعود تلك الضمائر، ولكن تُرِكت هكذا لنعرف قدر الرسول عند الله عز وجل، الذي

[٤] مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفاعَتي يَومَ القِيامَةِ رَواهُ حَمْزَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ، عن أبِيهِ، عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ..

الراوي: جابر بن عبدالله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم:٤٧١٩ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

وصل إلى درجة أن من بايعوه فكأنما قد بايعوا الله!

فهذا التداخل حتمًا مقصود لنعظم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا التعظيم من أسباب الفتح –التي نبحث عنها بينما نقرأ هذه السورة–، والجيل الذي سيقوم بهذه الوظائف هو جيل الفتح، ومواصفات جيل الفتح ستُجمّع وتُلخّص في آخر آية من السورة.

ومن يقرأ في السيرة عن "**صلح الحديبية**"، يرى كيف كان الصحابة يتعمدون تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فوق العادة، (ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده)[٥]، ويتوضؤون

---

[٥] خَرَجَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حتَّى إذَا كَانُوا ببَعْضِ الطَّرِيقِ، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ بالغَمِيمِ في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ فَوَاللَّهِ ما شَعَرَ بهِمْ خَالِدٌ حتَّى إذَا هُمْ بقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وسَارَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى إذَا كانَ بالثَّنِيَّةِ الَّتي يُهْبَطُ عليهم منها بَرَكَتْ به رَاحِلَتُهُ، فَقالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فألَحَّتْ، فَقالوا: خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وما ذَاكَ لَهَا بخُلُقٍ، ولَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ، ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إلَّا أعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قالَ: فَعَدَلَ عنْهمْ حتَّى نَزَلَ بأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ علَى ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حتَّى نَزَحُوهُ وشُكِيَ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أمَرَهُمْ أنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ ما زَالَ يَجِيشُ لهمْ بالرِّيِّ حتَّى صَدَرُوا عنه، فَبيْنَما هُمْ كَذلكَ إذْ جَاءَ بُدَيْلُ بنُ ورْقَاءَ الخُزَاعِيُّ في نَفَرٍ مِن قَوْمِهِ مِن خُزَاعَةَ، وكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن أهْلِ تِهَامَةَ، فَقالَ: إنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بنَ لُؤَيٍّ، وعَامِرَ بنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، ومعهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ، وهُمْ مُقَاتِلُوكَ وصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أحَدٍ، ولَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وإنَّ قُرَيْشًا قدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وأَضَرَّتْ بهِمْ، فإنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، ويُخَلُّوا بَيْنِي وبيْنَ النَّاسِ، فإنْ أظْهَرْ: فإنْ شَاؤُوا أنْ يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فيه النَّاسُ فَعَلُوا، وإلَّا فقَدْ جَمُّوا، وإنْ هُمْ أبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ علَى أمْرِي هذا حتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، ولَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أمْرَهُ، فَقالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ ما تَقُولُ، قالَ: فَانْطَلَقَ حتَّى أتَى قُرَيْشًا، قالَ: إنَّا قدْ جِئْنَاكُمْ مِن هذا الرَّجُلِ وسَمِعْنَاهُ يقولُ قَوْلًا، فإنْ شِئْتُمْ أنْ نَعْرِضَهُ عليكُم فَعَلْنَا، فَقالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لا حَاجَةَ لَنَا أنْ تُخْبِرَنَا عنه بشيءٍ، وقالَ ذَوُو الرَّأْيِ منهمْ: هَاتِ ما سَمِعْتَهُ يقولُ، قالَ: سَمِعْتُهُ يقولُ كَذَا وكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بما قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَامَ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ فَقالَ: أيْ قَوْمِ، ألَسْتُمْ بالوَالِدِ؟ قالوا: بَلَى، قالَ: أوَلَسْتُ بالوَلَدِ؟ قالوا: بَلَى، قالَ: فَهلْ تَتَّهِمُونِي؟ قالوا: لَا، قالَ: ألَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنِّي اسْتَنْفَرْتُ أهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بأَهْلِي ووَلَدِي ومَن أطَاعَنِي؟ قالوا: بَلَى، قالَ: فإنَّ هذا قدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا ودَعُونِي آتِيهِ، قالوا: ائْتِهِ، فأتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نَحْوًا مِن قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذلكَ: أيْ مُحَمَّدُ أرَأَيْتَ إنِ اسْتَأْصَلْتَ أمْرَ قَوْمِكَ، هلْ سَمِعْتَ بأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أهْلَهُ قَبْلَكَ، وإنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فإنِّي واللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وإنِّي لَأَرَى أوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أنْ يَفِرُّوا ويَدَعُوكَ، فَقالَ له أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ ببَظْرِ اللَّاتِ، أنَحْنُ نَفِرُّ عنْه ونَدَعُهُ؟ فَقالَ: مَن ذَا؟ قالوا: أبو بَكْرٍ، قالَ: أما والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لكَ عِندِي لَمْ أجْزِكَ بهَا لَأَجَبْتُكَ، قالَ: وجَعَلَ يُكَلِّمُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَكُلَّما تَكَلَّمَ أخَذَ بلِحْيَتِهِ، والمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ علَى رَأْسِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومعهُ السَّيْفُ وعليه المِغْفَرُ، فَكُلَّما أهْوَى عُرْوَةُ بيَدِهِ إلى لِحْيَةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بنَعْلِ السَّيْفِ، وقالَ له: أخِّرْ يَدَكَ عن لِحْيَةِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقالَ: مَن هذا؟ قالوا: المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، فَقالَ: أيْ غُدَرُ، ألَسْتُ أسْعَى في غَدْرَتِكَ؟ وكانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا في الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وأَخَذَ أمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فأسْلَمَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَّا الإسْلَامَ فأقْبَلُ، وأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ منه في شيءٍ، ثُمَّ إنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أصْحَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعَيْنَيْهِ، قالَ: فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلى أصْحَابِهِ، فَقالَ: أيْ قَوْمِ، واللَّهِ لقَدْ وفَدْتُ علَى المُلُوكِ، ووَفَدْتُ علَى قَيْصَرَ، وكِسْرَى، والنَّجَاشِيِّ، واللَّهِ إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُحَمَّدًا، واللَّهِ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ

النَّظَرَ تَعْظِيمًا له، وإنَّه قدْ عَرَضَ عليكُم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقْبَلُوهَا، فقالَ رَجُلٌ مِن بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فقالوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أشْرَفَ علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وأَصْحَابِهِ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هذا فُلَانٌ، وهو مِن قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا له فَبُعِثَتْ له، واسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذلكَ قالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ما يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إلى أصْحَابِهِ، قالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قدْ قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ، فَما أرَى أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَقَامَ رَجُلٌ منهمْ يُقَالُ له مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ، فقالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فقالوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أشْرَفَ عليهم، قالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: هذا مِكْرَزٌ، وهو رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَبيْنَما هو يُكَلِّمُهُ إذْ جَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، قالَ مَعْمَرٌ: فأخْبَرَنِي أيُّوبُ، عن عِكْرِمَةَ أنَّه لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِن أمْرِكُمْ قالَ مَعْمَرٌ: قالَ الزُّهْرِيُّ في حَديثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو فَقالَ: هَاتِ اكْتُبْ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الكَاتِبَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قالَ سُهَيْلٌ: أمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ ما أدْرِي ما هو ولَكِنِ اكْتُبْ باسْمِكَ اللَّهُمَّ كما كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقالَ المُسْلِمُونَ: واللَّهِ لا نَكْتُبُهَا إلَّا بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: اكْتُبْ باسْمِكَ اللَّهُمَّ ثُمَّ قالَ: هذا ما قَاضَى عليه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ، فَقالَ سُهَيْلٌ: واللَّهِ لو كُنَّا نَعْلَمُ أنَّكَ رَسولُ اللَّهِ ما صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، ولَا قَاتَلْنَاكَ، ولَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: واللَّهِ إنِّي لَرَسولُ اللَّهِ، وإنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ - قالَ الزُّهْرِيُّ: وذلكَ لِقَوْلِهِ: لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إلَّا أعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا - فَقالَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: علَى أنْ تُخَلُّوا بيْنَنَا وبيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ به، فَقالَ سُهَيْلٌ : واللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، ولَكِنْ ذلكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقالَ سُهَيْلٌ: وعلَى أنَّه لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وإنْ كانَ علَى دِينِكَ إلَّا رَدَدْتَهُ إلَيْنَا، قالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كيفَ يُرَدُّ إلى المُشْرِكِينَ وقدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبيْنَما هُمْ كَذلكَ إذْ دَخَلَ أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ في قُيُودِهِ، وقدْ خَرَجَ مِن أسْفَلِ مَكَّةَ حتَّى رَمَى بنَفْسِهِ بيْنَ أظْهُرِ المُسْلِمِينَ، فَقالَ سُهَيْلٌ: هذا يا مُحَمَّدُ أوَّلُ ما أُقَاضِيكَ عليه أنْ تَرُدَّهُ إلَيَّ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ، قالَ: فَوَاللَّهِ إذًا لَمْ أُصَالِحْكَ علَى شيءٍ أبَدًا، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فأجِزْهُ لِي، قالَ: ما أنَا بمُجِيزِهِ لَكَ، قالَ: بَلَى فَافْعَلْ، قالَ: ما أنَا بفَاعِلٍ، قالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قدْ أجَزْنَاهُ لَكَ، قالَ أبو جَنْدَلٍ: أيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلى المُشْرِكِينَ وقدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، ألَا تَرَوْنَ ما قدْ لَقِيتُ؟ وكانَ قدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا في اللَّهِ، قالَ: فَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: فأتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقُلتُ: ألَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قالَ: بَلَى، قُلتُ: ألَسْنَا علَى الحَقِّ، وعَدُوُّنَا علَى البَاطِلِ، قالَ: بَلَى، قُلتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا إذًا؟ قالَ: إنِّي رَسولُ اللَّهِ، ولَسْتُ أعْصِيهِ، وهو نَاصِرِي، قُلتُ: أوَليسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أنَّا سَنَأْتي البَيْتَ فَنَطُوفُ بهِ؟ قالَ: بَلَى، فأخْبَرْتُكَ أنَّا نَأْتِيهِ العَامَ، قالَ: قُلتُ: لَا، قالَ: فإنَّكَ آتِيهِ ومُطَّوِّفٌ به، قالَ: فأتَيْتُ أبَا بَكْرٍ فَقُلتُ: يا أبَا بَكْرٍ أليسَ هذا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قالَ: بَلَى، قُلتُ: ألَسْنَا علَى الحَقِّ وعَدُوُّنَا علَى البَاطِلِ؟ قالَ: بَلَى، قُلتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا إذًا؟ قالَ: أيُّهَا الرَّجُلُ إنَّه لَرَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وليسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وهو نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إنَّه علَى الحَقِّ، قُلتُ: أليسَ كانَ يُحَدِّثُنَا أنَّا سَنَأْتي البَيْتَ ونَطُوفُ بهِ؟ قالَ: بَلَى، أفَأَخْبَرَكَ أنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلتُ: لَا، قالَ: فإنَّكَ آتِيهِ ومُطَّوِّفٌ به، - قالَ الزُّهْرِيُّ: قالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لِذلكَ أعْمَالًا، قالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِن قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، قالَ: فَوَاللَّهِ ما قَامَ منهمْ رَجُلٌ حتَّى قالَ ذلكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منهمْ أحَدٌ دَخَلَ علَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أتُحِبُّ ذلكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا منهمْ كَلِمَةً، حتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أحَدًا منهمْ حتَّى فَعَلَ ذلكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، ودَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذلكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} [المتحنة: ١٠] حتَّى بَلَغَ بعِصَمِ الكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَومَئذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا له في الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إحْدَاهُما مُعَاوِيَةُ بنُ أبِي سُفْيَانَ، والأُخْرَى صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى المَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أبو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِن قُرَيْشٍ وهو مُسْلِمٌ، فأرْسَلُوا في طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقالوا: العَهْدَ الذي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إلى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا به حتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِن تَمْرٍ لهمْ، فَقالَ أبو بَصِيرٍ لأحَدِ الرَّجُلَيْنِ: واللَّهِ إنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هذا يا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ، فَقالَ: أجَلْ، واللَّهِ إنَّه لَجَيِّدٌ، لقَدْ جَرَّبْتُ به، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقالَ أبو بَصِيرٍ: أرِنِي أنْظُرْ إلَيْهِ، فأمْكَنَهُ منه، فَضَرَبَهُ حتَّى بَرَدَ، وفَرَّ الآخَرُ حتَّى أتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ رَآهُ: لقَدْ رَأَى هذا ذُعْرًا فَلَمَّا انْتَهَى إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: قُتِلَ واللَّهِ صَاحِبِي وإنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أبو بَصِيرٍ فَقالَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، قدْ واللَّهِ أوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قدْ رَدَدْتَنِي إليهِم، ثُمَّ أنْجَانِي اللَّهُ منهمْ، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ويْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لو كانَ له أحَدٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذلكَ عَرَفَ أنَّه سَيَرُدُّهُ إليهِم، فَخَرَجَ حتَّى أتَى سِيفَ البَحْرِ قالَ: ويَنْفَلِتُ منهمْ أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ مِن قُرَيْشٍ رَجُلٌ قدْ أسْلَمَ إلَّا لَحِقَ بأَبِي بَصِيرٍ، حتَّى اجْتَمعتْ منهمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ ما يَسْمَعُونَ بعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إلى الشَّأْمِ إلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا،

بوضوئه.

فكانوا يتسارعون لتعظيمه أمام العدو، لأن هنالك مواقف تستدعي زيادة تعظيم النبي، بالطبع أنت تعظمه دائمًا، ولكن عندما تشتد العداوة فلا بد لك من أن تزداد تعظيمًا له. فإذا أنت سمعت خبر ما يسيء للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلا بد أن تزداد تعظيمًا له –حتى لو كان تكلفًا– ولا نمل من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ولا نتغاضى عن ذلك أبدًا.

فلما قيل عنه صلى الله عليه وسلم أنه أبتر –وحاشاه–، أنزل الله سبحانه سورة الكوثر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[الكوثر: ٣].

وكأنّ هناك إشارة إلى أنه كلما ازداد تعظيمك للنبي صلى الله عليه وسلم، كنت من أهل الفتح؛ وأن يُفتح عليك. كما قال الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (...أأجعل كل صلاتي لك، قال: إذًا تكفى همك..)[٦]. فكلما ازداد تعظيمك للنبي صلى الله عليه وسلم كُفيت الهموم وصُرف عنك الأذى، وكنت أهلًا لأن يفتح الله عز وجل عليك.

إذًا؛ فذلك التداخل مقصود، إذ ليس في القرآن حرف ورد عبثًا، فكلام الله سبحانه وتعالى محكم حكيمٌ سبحانه وتعالى، وكون الآية ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تأتي وتترك هكذا؛ فهذا مقصود.

ثم تأتي الآية التي بعدها لتبين لك عِظَم النبي صلى الله عليه وسلم، وأن مقامه عند الله سبحانه وتعالى عظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[الفتح: ١٠]، وهذا تشريف ليده صلى الله عليه وسلم؛ فهي ليست كأي يد، فأنت عندما تصافح رسول الله وتبايعه، فإن هذه البيعة عظيمة عند الله.

وبالعودة إلى الآية الكريمة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾، وكما قلنا أن الضمير "الهاء" في ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾إما

فَقَتَلُوهُمْ وأَخَذُوا أمْوَالَهُمْ، فأرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تُنَاشِدُهُ باللَّهِ والرَّحِمِ، لَمَّا أرْسَلَ، فمَن أتَاهُ فَهو آمِنٌ، فأرْسَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إليهِم، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهو الذي كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عنْهمْ ببَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عليهم} [الفتح: ٢٤] حتَّى بَلَغَ {الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ} [الفتح: ٢٦] وكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أنَّه نَبِيُّ اللَّهِ، ولَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وحَالُوا بيْنَهُمْ وبيْنَ البَيْتِ..

الراوي: المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٢٧٣١ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

[٦] أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ إني أُكثرُ الصلاةَ فما أجعلُ لك من صلاتي ؟ قال : ما شئتَ . قال الثلثُ ؟ قال ما شئتَ ، وإن زدتَ فهوَ خيرٌ إلى أن قال : أجعلُ لك كلَّ صلاتي ؟ قال : إذًا تُكفى همَّكَ.

الراوي: أبي بن كعب | المحدث: ابن حجر العسقلاني | المصدر: فتح الباري لابن حجر | الصفحة أو الرقم: ١٧١/١١ | خلاصة حكم المحدث: **[إسناده حسن]**

عائد على الرسول أو على الله سبحانه وتعالى.

نأتي الآن إلى **معنى "التعزير"**، وهو لغةً من معانيه: النصرة، أو أن تمنع الأذى عمن تحب، أي تمنع الأذى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: أن تقف أمامه بالسيف -تقاتل بين يدي الرسول بالسيف-، ومن معاني التعزير أيضًا: أن تؤدب فردًا، فعزرته أي: أدبته، لذلك يحق لولي الأمر في الشرع أن يعزر من يخطئ من باب التأديب، إذا لم يوجد حد شرعي نص عليه الشرع لهذا الخطأ.

وقيل أيضًا: أن هذه الكلمة ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ لها أصلين: التأديب والمنع، وقال آخرون أن أصلها المنع فقط، أي أن تمنع عن الشخص أي أذى.

وهنا قد يتساءل البعض كيف يكون الضرب تعزيرًا؟! فقيل بأن الهدف في الشريعة عندما تعزر أحدًا أن تمنع عنه الأذى في جهنم، وألا يعاود الذنب مرة أخرى -فهو هدف تأديبي وليس هدفًا انتقاميًا-.

ولذلك يقال بأنّ على الوالد ألا يعاقب ابنه وهو غضبان، لأنه إذا عاقبه وهو غضبان فسيضربه ليفرّغ غضبه، لا بهدف تأديبه، وهذا ليس هو المقصد الشرعي.

إذًا؛ الكلمة الجامعة في "التعزير" هي أن تمنع الأذى عن الشخص، فعندما يُجلَد أحدهم كحد، فإنّ الغرض الأساسي هو أن تمنع عنه الأذى في جهنم، وألا يعاود الذنب مرة أخرى، لذلك فإن المرأة التي وقعت في الزنا جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فَقالَتْ: (يا نبي اللهِ، طَهِّرْنِي)[٧]؛ فهي تعلم أن معنى إقامة الحد هو الطهارة.

فمعنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ يكون: أن تمنع وصول أي أذى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم:"وهذا

[٧] كُنتُ جالسًا عندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فجاءَته امرَأةٌ مِن غامِدٍ، فقالت: يا نَبيَّ اللهِ، إنِّي قد زَنيتُ، وأنا أُريدُ أنْ تُطهِّرَني، فقال لها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ارْجِعي. فلمَّا أنْ كان مِن الغَدِ أتَتْه أيضًا، فاعترَفَتْ عندَه بالزِّنا، فقالت: يا رسولَ اللهِ، إنِّي قد زَنَيتُ، وأنا أُريدُ أنْ تُطهِّرَني، فقال لها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ارْجِعي. فلمَّا أنْ كان مِن الغَدِ أتَتْه أيضًا فاعترَفَتْ عندَه بالزِّنا، فقالت: يا نَبيَّ اللهِ، طَهِّرْني، فلعلَّكَ أنْ تَردُدَني كما رَدَدتَ ماعِزَ بنَ مالكٍ، فواللهِ إنِّي لَحُبْلى، فقال لها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ارْجِعي حتى تَلِدي. فلمَّا وَلَدَتْ جاءتْ بالصَّبيِّ تَحمِلُه، فقالت: يا نَبيَّ اللهِ، هذا قد وَلَدتُ، قال: فاذْهَبي فأَرْضِعيهِ حتى تَفْطِميهِ. فلمَّا فَطَمَتْه جاءتْ بالصَّبيِّ في يَدِه كِسْرةُ خُبْزٍ، قالت: يا نَبيَّ اللهِ، هذا قد فَطَمتُه، فأمَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالصَّبيِّ فدَفَعَه إلى رَجُلٍ مِن المُسلِمينَ، وأمَرَ بها، فحُفِرَ لها حُفْرةٌ، فجُعِلَتْ فيها إلى صَدْرِها، ثم أمَرَ النَّاسَ أنْ يَرجُموها، فأقبَلَ خالدُ بنُ الوليدِ بحَجَرٍ فرَمى رَأسَها، فنَضَحَ الدَّمَ على وَجْنةِ خالدٍ فسَبَّها، فسَمِعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَبَّه إيَّاها، فقال: مَهْلًا يا خالدُ بنَ الوليدِ، لا تَسُبَّها؛ فوالذي نَفْسي بيَدِه، لقد تابتْ تَوْبةً لو تابَها صاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ له، فأمَرَ بها، فصلَّى عليها ودُفِنَتْ..

الراوي: بريدة بن الحصيب الأسلمي | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج المسند | الصفحة أو الرقم :٢٢٩٤٩ | خلاصة حكم المحدث: **حديث صحيح** وقصة سب خالد بن الوليد للغامدية، وقصة انتظار الفطام للرجم، تفرد بها بشير -وهو ابن المهاجر الغنوي- في حديث بريدة، وهو مختلف فيه | التخريج: أخرجه أبو داود (٤٤٤٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧١٩٧)، وأحمد (٢٢٩٤٩) واللفظ له

يكون بالسيف"، بأن تقف أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وتمنع وصول الأذى إليه، ويلخص هذا المعنى -إذا ما أخذنا بقول أن "الهاء" تعود على النبي صلى الله عليه وسلم- مشهد (نحري دون نحرك يا رسول الله)[٨].

فأنت عندما تبلغك رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك من أجل أن تسمعها وتستمتع بها، بل لتتحرك، فيكون أول موقف لك بعد الإيمان هو أن تقف حاجزًا يمنع من وصول الأذى إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الوقفة لا بد أن يصحبها تعظيم؛ لقوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، وقيل أن "الوقر" في اللغة معناها: الثِقَل، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾[الذاريات: ٢]، أي السحب الثقيلة الحاملة للمطر، أيضًا ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الإسراء: ٤٦] معناها: ثقيل السمع الذي لا يسمع. إذًا فالثِقَل: إما ثِقَل حسي، أي شيء ثقيل الوزن، أو ثقل معنوي، أي تعظيم هذا الشخص، فيكون هذا الشخص بالنسبة لك ليس كأي أحد.

إذًا؛ فكلمة ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعني أن نعامل النبي صلى الله عليه وسلم معاملة خاصة، ومعاملتنا الخاصة لرسولنا تقتضي أولًا معرفة سيرته صلى الله عليه وسلم ونسبه، لأنك إن لم تسعَ إلى معرفة هذه المعلومات، فأنت بهذا تتعامل معه كما تتعامل مع باقي البشر، وقد قال تعالى في هذا الأمر في سورة النور: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور: ٦٣]، فلا يصح أن تتعامل مع الرسول كما تتعامل مع باقي الناس، ولا حتى ابنك أو أبيك، فالنبي ينبغي أن تكون له معاملة خاصة، وثِقَلٌ خاص في حياتك، فهو صلى الله عليه وسلم الشخصية الوحيدة التي ستسأل عنها في قبرك، حيث ستُسأل: من ربك؟، ما دينك؟، من نبيك؟.

فلا بد أن يتحول هذا الإيمان إلى أفعال، ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فلا يصح أن يكون النبي صلى الله عليه

[٨] -لَمَّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَبُو طَلْحَةَ بيْنَ يَدَيِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُجَوِّبٌ به عليه بحَجَفَةٍ له، وكانَ أبو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ القِدِّ، يَكْسِرُ يَومَئذٍ قَوْسَيْنِ أوْ ثَلَاثًا، وكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ معهُ الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فيَقولُ: انْشُرْهَا لأبِي طَلْحَةَ. فأشْرَفَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَنْظُرُ إلى القَوْمِ، فيَقولُ أبو طَلْحَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، لا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِن سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، ولقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بنْتَ أبِي بَكْرٍ، وأُمَّ سُلَيْمٍ وإنَّهُما لَمُشَمِّرَتَانِ، أرَى خَدَمَ سُوقِهِما، تُنْقِزَانِ القِرَبَ علَى مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ في أفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ في أفْوَاهِ القَوْمِ، ولقَدْ وقَعَ السَّيْفُ مِن يَدَيْ أبِي طَلْحَةَ إمَّا مَرَّتَيْنِ وإمَّا ثَلَاثًا.

الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم :٣٨١١ |خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]** |
التخريج: أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم(1811)

وسلم شخصيةً عادية في حياتك، فالأصل أن تكون مشغولًا بتصرفاته، متتبعًا لأفعاله، تسأل: ماذا كان يفعل النبي في الصلاة؟، ماذا كان يفعل في الصيام؟، ماذا كان هَديُه في المشي؟، ما الذي كان يحبه صلى الله عليه وسلم؟، وتبدأ تتعلم.

فالجيل الذي يفكر بهذه الطريقة هو جيل الفتح، الذي يُفتَح عليه، وكلما ابتعدت الأجيال عن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، كلما انهزمنا وابتعدنا عن الفتح، وكذلك أنت في حياتك. لذلك قيل في تفسير قوله تعالى ﴿فَأَثَـٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ﴾[آل عمران: ١٥٣]، أن هذه "الباء" في ﴿ فَأَثَـٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِ﴾ هي باء سببية، أي بسبب غم أذقتموه للنبي صلى الله عليه وسلم، أي أن الله عز وجل أغمكم يوم أحد بسبب ما فعلتموه من غم للنبي صلى الله عليه وسلم، فكل فعل تفعله ويؤدي إلى غم للنبي صلى الله عليه وسلم، يتسبب لك بغمٍّ في حياتك، وكذلك -بالعكس- فكل فعل تفرّح به النبي صلى الله عليه وسلم، يثيبك الله به فرحًا في حياتك.

والكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم محوري في هذه السورة ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ(١)﴾، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ(٨)﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ(١٠)﴾، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ(٩)﴾، وآخر آية ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ(٢٩)﴾، حيث يُفرَد النبي صلى الله عليه وسلم وحده، فلا بد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم شخصية محورية في حياتك.

ثم قال تعالى ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: الملك سبحانه وتعالى بالإجماع، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ قيل فيها أن هذا هو الزاد، فحتى تستطيع تعزير النبي وتوقيره أنت بحاجة إلى زاد، وهذا الزاد يكون دائمًا التسبيح، ولذلك غالبًا ما يُقرَن الصبر مع التسبيح في القرآن، ***لأن التسبيح هو الزاد للصبر***، وقد جاء ذلك في أكثر من أربعة أو خمسة مواضع في القرآن، حيث يأمر الله بالصبر، ثم يأتي بعدها أمر بالتسبيح، لأنه زاد الصبر وزاد البذل، لذلك عندما أمر ربنا سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يذهب إلى الطاغية فرعون، طلب موسى عليه السلام عدة طلبات، فقال: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي * وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي * يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾[طه: ٢٥-٢٨]، وكل هذه الطلبات ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ [طه:٣٣]، لذلك قال هنا: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ لأن الزاد على قدر المشقة، وكلما كان الأمر متعبًا كلما احتجت إلى زاد أكبر، فهنا ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

أو أن أفعالك التي تفعلها مع النبي تقربك من المولى عز وجل، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء ليربط الناس بالله، وهو ما فعله صلى الله عليه وسلم، فقد كان يربطهم بالنص، لا بالشخص، فكان أقرب

الناس إليه صلى الله عليه وسلم وهو الصّديق من أكثر الناس تعلقًا بالله –وهذا عجيب جدًا–، لذلك كان هو الوحيد الذي صبر يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان متعلقًا بالله، فإذًا استطاع النبي أن يربط الناس بالله، ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

والآن بعدما أدركت أن الدين ليس مصحة نفسية، وأنه ليس لعبة، وأنه يجب علينا أن نقدم شيئًا لدين الله، وأن ننصر النبي صلى الله عليه وسلم، وآمنا بكلمة ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، نتساءل ماذا نفعل؟ وما هي صور التعزير والتوقير؟

فتأتي **آية البيعة**، حيث يذكر الله لك فيها نموذجًا لأناس قد عملت بالفِعل، وقدمت هذا الحب عملًا واضحًا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ(١٠)﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ فالصحابة قد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم، وسنتكلم عن قصة البيعة مرة أخرى في ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨].

حيث أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ليحاور أهل مكة ويخبرهم بأنهم لم يأتوا للحرب، وإنما جاؤوا للعمرة، –وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد هَمَّ بإرسال عمر بن الخطاب فقال له أن بينه وبين أهل مكة عداوات وطلب منه أن يرسل عثمان، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان–، فتأخر، وحبسوه وعرضوا عليه أن يطوف بالبيت وحده، فأبى عثمان إلا أن يطوف مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما تأخر عثمان أُشيع أنه قتل، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ البيعة من الصحابة على الموت، وهناك روايتان: الأولى أنهم قالوا: (بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا نفر)[٩]، والرواية الأخرى: (بايعناه على الموت)[١٠]، وهذا كله لأن واحدًا قد تأخر، فانظر إلى تماسك الصحابة! بايعوه على الموت وعلى ألا يفروا، وهم إنما كانوا قادمين للعمرة، وعندما صدهم المشركون قالوا سنقاتل، ثم عندما خلأت القصواء، قالوا هذه رسالة من الله بألا نقاتل، وبعدما أشيع مقتل عثمان، قالوا

---

[٩] كُنَّا يومَ الحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةً، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهي سَمُرَةٌ. وَقالَ: بَايَعْنَاهُ علَى أَنْ لا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ علَى المَوْتِ..

الراوي: جابر بن عبدالله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم :١٨٥٦ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

[١٠] قُلتُ لِسَلَمَةَ بنِ الأكْوَعِ: على أيِّ شَيءٍ بايَعتُم رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يومَ الحُدَيبيةِ؟ قال: بايَعْناهُ على المَوتِ..

الراوي: سلمة بن الأكوع | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج المسند | الصفحة أو الرقم :١٦٥٣٣ | خلاصة حكم المحدث: **إسناده صحيح على شرط مسلم** | التخريج: أخرجه أحمد (١٦٥٣٣) واللفظ له، والفاكهي في ((أخبار مكة)) (٢٨٦٦)، وأبو عوانة في ((المستخرج٦٨٢٤))

سنقاتل، ثم لما علموا أن عثمان لم يقتل قالوا لن نقاتل، فهم يسيرون مع أمر الله وقدره، وهذه هي الشخصية التي يُفتَح عليها: التي تسير مع أوامر الله. مثلمت حدث في بدر؛ حيث كانوا خروجهم من أجل العير لكنهم لم يعترضوا عندما تحوّلت إلى معركة، فلديهم استعداد لأن يُغيروا.

وقد جاءت آية البيعة بعد آية ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ لتبين لك أنّ كمال هذه الأفعال في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم هو أن تبايع على الموت، وأن يكون عندك استعداد أن تموت حتى تنصر سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهذه أعلى صور التعزير والتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم، فحتى تطبق آية ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، أتى الله لك بنموذج وأَكَّدَ على هذا النموذج، حيث بدأت الآية بالتوكيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾.

وسبق أن ذكرنا أن سورة الفتح –على اختلاف الأقوال– نزلت في طريق العودة إلى المدينة بعدما انتهى الصلح وبعدما بايعوا النبي، أي أن البيعة تمت بالفعل وانتهت، فلماذا أتت ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ هنا بصيغة المضارع ؟ حيث كان المتوقع أن تكون "إن الذين بايعوك إنما بايعوا الله" بصيغة الماضي، وكذلك الأمر في ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ﴾ فقد قلنا أن هذا الفتح هو فتح مكة، لكن الآية جاءت بصيغة الماضي بدل "إنا سنفتح لك"، فالمضارع أتى بصيغة الماضي، والماضي أتى بصيغة المضارع.

فأما ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ(١)﴾ **أي**: سيحدث فتح عظيم، جاءت بصيغة الماضي لتحقق موعود الله، فالله تعالى إذا شاء فتحًا لأحد لا تقف الدنيا كلها أمامه.

وأما في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ(١٠)﴾، فمع أنهم قد بايعوا بالفعل، إلا أنها جاءت بصيغة المضارع لاستحضار هذا المشهد المهيب، وحتى يظل الصحابة متذكرين هذا المشهد، فهي ليست مجرد بيعة وانتهت، هذا ليس موقفًا أخذتك الحماسة فيه، أو درس حضرته فقلت: "أنا أبايع على الموت"، ثم انتهى الأمر! فقد تجد شخصًا يتحمس مرةً، ويبكي ويقول أنا قررت كذا، ولن أفعل كذا، ثم بعد ذلك يعود ليمارس حياته بشكل طبيعي دون أي تغيير، لذلك يقول ربنا: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾، فهنالك عهود بينك وبين الله.

ومن أكثر الآيات المؤلمة عندما يتذكرها الإنسان ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖ﴾[الأعراف: ١٠٢]، وهي آية محورية في سورة الأعراف، جاءت بعد قصص كثيرة للأنبياء، وقبل الانتقال لقصة سيدنا موسى، حيث ستتعجب من كثرة العهود التي نُقِضَت في تلك السورة ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ جاءت بصيغة المضارع إذًا، لتعظيم هذا المشهد، فهذا المشهد نحتاج أن نشاهده

دائمًا وبصورة مستمرة، حتى نرى كيف تعب الصحابة، وحتى يتذكره الصحابة، وتتذكر أنت دائمًا مسألة البيعة والعهد، فلا تنساها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ تأكيد بصيغة المضارع ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، ﴿إِنَّمَا﴾ يسمونه حرف قصر، بمعنى أنهم لن يبايعوا إلا الله، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان الوسيلة التي أدوا بها البيعة لله سبحانه وتعالى.

وهناك نوعان للقصر: قصر حقيقي، وقصر مجازي. والقصر المجازي له ثلاثة أنواع: تعيين، وقلب، وتحديد...

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: هذا القصر يسمونه قصرًا مجازيًا. ومن أمثلة القصر المجازي: أن تقول "إنما الشاعر فلان"، فبالرغم من وجود الكثير من الشعراء، إلا أنك لا تعتبر أي شعر آخر إلا شعر فلان، كأنك لا ترى غيره. فكلمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾، من معانيها تعظيم ما فعله الصحابة، وهذا يعلمنا كيف أن الصحابي كان مستحضرًا عند البيعة أنه يبايع الله، وأنه قد وصل إلى مقام الإحسان (كأنك تراه)[11]! فلو أنك قدّمت الدين بهذا الشكل، وعملت أعمالًا صالحة كهذه، فإنك ستصل بحالك إلى (كأنك تراه).

يُروى في الأثر أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يطوف بالكعبة، وجاءه عروة بن الزبير يخطب ابنته وهو يطوف، فلم يرد عليه. وبعد الطواف اعتذر منه عبد الله بن عمر، وقال: "كنا ونحن نطوف نتخايل الله بين أعيننا". ومعنى كلامه: (كأنك تراه) –حتى لا تظن أنه يقول بالتشبيه–فكأنه يقول أنه كان في عالم آخر أثناء طوافه فلم ينتبه.

فعليك أن تستحضر مقام الإحسان (كأنك تراه) في الصلاة، وفي البيعة، وعندما تردد سيد الاستغفار (وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)، فأنت لا تقول كلامًا مجردًا، لذلك كان (مَن يقول سيد الاستغفار بحق موقنًا بهذه الكلمات ثم يموت يدخل الجنة)[12]، لأنه تجديد للعهد والبيعة، واستغفار لأي

---

[11] كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فأتَاهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: ما الإيمَانُ؟ قالَ: الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وبِلِقَائِهِ، ورُسُلِهِ وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ. قالَ: ما الإسْلَامُ؟ قالَ: الإسْلَامُ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، ولَا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ. قالَ: ما الإحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ، قالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وسَأُخْبِرُكَ عن أشْرَاطِهَا: إذَا ولَدَتِ الأمَةُ رَبَّهَا، وإذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإبِلِ البُهْمُ في البُنْيَانِ، في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أدْبَرَ فَقالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شيئًا، فَقالَ: هذا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ..
الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم :٥٠ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

[12] ألا أدلُّكَ على سيِّدِ الاستِغفارِ : اللَّهمَّ أنتَ ربِّي ، لا إلَهَ إلَّا أنتَ ، خَلقتَني وأَنا عبدُكَ ، وأَنا على عَهْدِكَ ووعدِكَ ما استطعتُ ، أعوذُ بِكَ من شرِّ ما صنعتُ ، وأبوءُ لَكَ بنعمتِكَ عليَّ ، وأعترِفُ بِذنوبي ، فاغفِر لي ذنوبي إنَّهُ لا يَغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ ، لا يقولُها أحدُكُم حينَ يُمسي فيأتي علَيهِ قَدرٌ قبلَ أن يُصْبِحَ إلَّا وجبَت لَهُ الجنَّةُ ، ولا يقولُها حينَ يصبحُ فيأتي علَيهِ قَدرٌ قبلَ أن يُمْسيَ إلَّا وجبت لَهُ الجنَّةُ..
الراوي: شداد بن أوس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم :٣٣٩٣ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

نقص في هذا العهد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ كما أن فيها تعظيمًا للبيعة، فيها أيضًا تخويف للصحابة بأن هذا الأمر ليس هزلًا ولا لعبًا، فمن معاني ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ أن تعلم أثناء عملك للدين أن الأمر ليس لعبًا، بل هو عهد مع الله.

فأنت عندما تعاهد شخصًا على أن تفعل شيئًا ما لنصرة هذا الدين، فأنت إنما تعاهد الله، وليس ذلك الشخص. فحتى لو لم يكن ذلك الشخص يراك، فأنت معاهد لله، والله عز وجل مطلع عليك.

ثم يقول الملك سبحانه وتعالى تأكيدًا وتعظيمًا لهذا المشهد: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

تخيل هذا المشهد! أن يأتي الصحابي ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم ويمسك يده ليسلم عليه وهو مستحضر أن ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، هذا مشهد مهيب بحق!، وهؤلاء الصحابة يبايعون النبي على الموت! ١٤٠٠ صحابي بايعوا النبي على الموت!، وقيل أنه لم يتخلف منهم إلا رجل واحد، هو جد بن قيس، حيث اختبأ خلف جمله.

فعندما تتم البيعة بهذه الصورة ينزل الفتح، وينزل الرضا كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: ونحن نثبت اليد لله سبحانه وتعالى، ولا نؤول -حتى لا ندخل في جدل مع الذين يؤولون الصفة-، ولكن نقول أن هناك معنىً إضافيًا، فالقضية ليست إثبات الصفة لله سبحانه وتعالى وحسب، فهناك معنى آخر غير تعظيم البيعة.

وهناك **ثلاثة أقوال** لا بد أن تتذكرهم جيدًا وأنت تبذل لدين الله.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: **١- منةٌ، ٢- ووفاءٌ، ٣- وقوةٌ.**

وبعض هذه المعاني رويت عن السلف، وذُكرت عن ابن عباس وغيره، ونقلها الإمام الواحدي في تفسير البسيط، والإمام المكي بن أبي طالب في تفسير الهداية.

١- ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ منةٌ:

فاليد أحيانًا تأتي بمعنى النعمة والفضل، فيكون معنى الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: فضل الله عليكم

ومنته بالهداية أفضل وأعلى من أفعالكم بالبيعة. فعندما تُقدّم تضحية للدين لا تعظمها، بل تذكر أن الله هو الذي هداك للإسلام ووفقك لوقوف هذه الوقفة في تلك البيعة؛ ومنة الله أعظم، فلا تمنّوا بالبيعة، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾[الحجرات: ١٧].

فأنت عندما تبايع على الموت قد تستعظم ما تفعل، بل حتى إنّ مَن يقوم –في زماننا– ليصلي قيام الليل أو الفجر في الشتاء قد يشعر أنه فعل المستحيل، أما الصحابة فكانوا يبايعون على الموت، والله يذكرهم بأن فضله عليهم أعظم مما يفعلون، أن هداهم واصطفاهم –الألف وأربعمائة وعلى خلاف بين الأقوال ألف وخمسمائة– من بين آلاف البشر، وأن يكونوا معروفين على مدار الزمان بأهل بيعة الرضوان!، ففي ترتيب مقامات الصحابة هناك "أهل بيعة الرضوان".

فأول معنى تستحضره وأنت تبذل ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: منةً.

٢- ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وفاء:

أي أن توفية الله لكم بالجزاء أعظم من توفيتكم بالعمل، مثل قوله عز وجل: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾[التوبة: ١١١]. أي أن الله وعدك بالجزاء على أعمالك، وأخبرك بأنه سيعطيك أضعاف ما فعلت، فلا تنشغل كثيرًا بالجزاء.

فأحيانًا تجد بعض الناس منشغلين بالجزاء، ويتساءلون عن ثواب كل فعل؛ فيسأل: هل إذا صُمت وعطشت بنسبة سبعين في المئة هل سيزيد الأجر قليلًا؟ فتراه يسأل عن تفاصيل التفاصيل! وهذا الأمر جيد إذا كان يريد أن يستشعر الثواب، لكن من دون مبالغة، فأنت ينبغي أن تثق بأنّه ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾[النساء: ١٢٤]، ولا "قطميرًا"، فالغبار الذي يصيب قدمك في سبيل الله لا يضيع، وخلوف فم الصائم لا يضيع بل هو (أطيب عند الله من رائحة المسك)[13]، فعند الملك –وليس عند أي أحد– قطرة الدموع لا تضيع.

---

[13] خلوفُ فمِ الصَّائمِ أطيبُ عند اللهِ عزَّ وجلَّ من ريحِ المسكِ قال ربُّكم عزَّ وجلَّ عبدي ترك شهوتَه وطعامَه وشرابَه ابتغاءَ مرضاتي والصَّومُ لي وأنا أجزي به.

الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن عساكر | المصدر: معجم الشيوخ | الصفحة أو الرقم: ١١٠٠/٢ | خلاصة حكم المحدث: **[حسن صحيح]**

التخريج: أخرجه أحمد (٩١٢٧)، وابن عساكر في ((معجم الشيوخ٥٤١))

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ **وفاء:** أي أن عطاء الله لكم وجزاءه أعظم مما ستفعل. فمهما قدمت لنصرة الدين كن واثقًا أن الجزاء أعظم بكثير!

لذلك يمكن أن نربط هذا المعنى –وفاءً– بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴾[المدثر: ٦] **أي**:لا تستكثر أيّ عمل، لأن الجزاء أعظم بكثير. هذه معانٍ لابد أن تستحضرها وأنت تبذل لنصرة الدين.

٣- ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ قوة:

ذكر الإمام الواحدي معنى جميلًا، يقول: "أي: يا محمد صلى الله عليه وسلم لا تلتفت إلى قوة مَن بايعك، وانشغلْ بالله".

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ **أي:** قوة الله أعظم، فتوكلوا عليه.

فعندما يبايعك ألف وأربعمائة شخص على الموت، قد تفرح لأنكً اصبحت تملك أسباب القوة، لذلك يقول الله سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلم: قوة الله أعظم، فانشغل بالتوكل عليه، ولا تنشغل بهؤلاء، ولا تلتفت إليهم.

إذًا؛ عندما أقوم بأي عمل للدين ينبغي أن أتذكر أولًا منة الله عليّ أن وفقني، وأستحضر عظم الجزاء، ولا أتوكل على أفعالي، أي: بعدما أتعب وأبذل، لا أقول إني تعبت وبذلت، بل أتوكل على الملك سبحانه وتعالى

إذًا، عند القيام بأي عمل للدين فيه تعب وبيعة وقوة، يجب أن أتذكر ثلاثة أشياء في ذهني ولا أنساها:

١– المنّة: أن ربنا سبحانه وتعالى قد وفقني.

٢– استحضار الجزاء العظيم الذي هو أضعاف أضعاف ما أفعل، فلا أستكثر العمل؛ لأن الجزاء أعظم بكثير –إن تمّ القبول–.

٣– بعدما أتعب، أعتبر نفسي لم أفعل شيئًا لأني معتمد على الله سبحانه وتعالى من الأساس، وكل ما فعلته لا يُعتدُّ به ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾. فأنا إنما أقوم بطاعة وعبودية، والتوفيق والفتح والسداد والنصرة من عند ربنا سبحانه وتعالى.

لذلك عندما بايع الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم على الموت، ثم لم يحدث الموت، لم يكن المقصد من البيعة الجهاد، وإنما البيعة نفسها، فالنصرة والفتح تم بأسباب مختلفةٍ تمامًا، حيث أُبرم الصلح لمدة

عشر سنوات، وبعد ذلك يُنقض الصلح بعد عامين أو ثلاثة بترتيب عجيب، ثم تحدث أحداث غريبة، فيأتي الفتح من طريق مختلف تمامًا من حيث لا تحتسب. فالقضية كانت أن يتمّوا هذه البيعة، أما الفتح والترتيب والنصرة والسداد فمن عند الله سبحانه وتعالى.

وبعد استحضار آية البيعة بصيغة المضارع، والقَصْر في ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ كأنك تراه، واستحضار معنى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ منةً، وفاءً، وقوة (أي: نصرة).

نأتي إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾. والنكْث يأتي عندما يكون الشيء مُحكَمًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[النحل: ٩٢] في سورة النحل، حيث قيل بأنه كانت هناك امرأة خرقاء تظل طوال اليوم من أول النهار إلى آخره تغزل، فإذا ما أحكمت غزلها في آخر النهار نقضته، فشبّه الله عز وجل مَن ينقض عهده مع الناس بهذه المرأة، فما بالكم بمن ينقض عهده مع الله؟!

فالنكث شيءٌ محكم قمت بفكّه وتركه، كأن تتولى عن ثغرك وتذهب، أو أن يفتح لك ربنا سبحانه وتعالى ويستعملك ويصطفيك ويفهمك ويُقدّمك، ثم تُعرض ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.

الدين ليس لعبة، ولا ينفع فيه أن تعتقد أنك حرٌّ فيما تقوم به، فمثلًا تقرر يومًا أن تُحفّظ الأطفال القرآن، وتأتي بالأطفال وتبدأ معهم التحفيظ، ثم تتركهم بعد أن تعلّقوا بك، وتدعي بأنك مشغول! لا يمكنك القول بأن هذه نوافل، فهو استعمال من الله أنت تتركه وتذهب، لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بعض الأعمال الشرعية تلزم بالشروع فيها"، أي: تصبح واجبة -بالرغم من أنها كانت نفلًا- بمجرد الدخول فيها، وجاء بمثالين هما: جهاد الطلب -وهو نفل-، والحج، فأنت حتى لو خرجت في جهاد نفل، لا يصح لك أن تترك المعركة وترجع، فأنت هنا تولّي دبرك.

كذلك الأمر في الحج النفل -أنت مثلًا ذهبت للحج من قبل، ثم ذهبت مرة أخرى فهي نافلة لك- إذا ما شرعت فيه، لا يجوز لك أن ترجع دون أن تكمل ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦].

وقاس شيخ الإسلام ابن تيمية بعض الأعمال عليها مثل العلم، فمن يوفَّق لفهم العلم، فهذا اصطفاء ليس من حقه أن يتركه، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾، فأنت يجب عليك أن توفّي، فهذه أمانة. ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وبال النكث يكون عليك، فأنت بذلك تدمر نفسك، كالذي لا يستقر في عمل واحد فهو يدمر نفسه وليس له مستقبل.

وقال بعض اللغويّين أن النقض يكون للشيء الحسي، والنكث للشيء المعنوي وهو يأتي دائمًا مع

العهد، فالنقض مع العهد يراد به تشبيه العهد بشيء محسوس.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يوجد هنا أسلوب حصر في كلمة: ﴿فَإِنَّمَا﴾، وقد كان بعض المنافقين يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعتمد المسلمون على هذا العدد الكبير! فالمسلمون لا يُقدمون على خطوة إلا ومعهم أسباب، وعلى حسب العدد يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أعمالًا وخطوات معينة، لذلك كان بعض المنافقين يبايعون حتى يعتمد المسلمين على وجودهم، وبعد ذلك يخونوهم في المنتصف ليتضرر المسلمون جراء ذلك، مثل الذين كانوا يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره حتى يحدثوا فتنة وبلبلة.

فالله يقول لمن فعل ذلك كي يضر الدين، أنّ الدين لن يُضر، بل هو من سيُضَرّ، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ **أي**: يُعامل بنقيض القصد، فهو أراد أن يضر الدين، لكنه لا يضر إلا نفسه.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وكلمة ﴿أَوْفَىٰ﴾ في آية سورة التوبة ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ اسم تفضيل على وزن أفعل، أي: ليس هناك أحد أوفى من الله سبحانه وتعالى.

بينما كلمة ﴿أَوْفَىٰ﴾ هنا في هذه الآية ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ هي فعل؛ معناه: والذي سوف يوفي -عكس نكث- بعهده مع الله فسوف يؤتيه أجرًا عظيمًا. والتوفية هي: إعطاء الحق وافيًا، **أي**: لابد لك من الإتمام لأعمال الدين، فالدين ليس لعبة، ***وأنت عندما تستفتح عملًا لا بد أن تتمه، فلا تترك ثغرك في منتصف الطريق***، فالأجر العظيم لمن وفّى ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النحل: ٣٧]، وقيل إن ﴿وَفَّىٰٓ﴾ بصيغة المبالغة أعظم من ﴿أَوْفَىٰ﴾، لذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، فالخليل إبراهيم لم يترك بابًا إلا وقد أتمّه، ولذلك قال تعالى هنا: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ لأننا لا نستطيع أن نفعل مثل سيدنا إبراهيم.

والمثل المشهور يقول أن خط البداية مزدحم جدًا ومليء بالناس، لكن خط النهاية فارغ، فالثبات صعب، ولذلك خُتمت سورة الفلاح والخسارة "سورة العصر" بالصبر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ٣]، فلكي تنجح يجب أن تكمل لآخر الطريق، فكم من عهد عاهدناه ولم نتمه؟!

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ ولم يقل: "بما بايع"، مع أن الآية بدأت بالبيعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾، وذلك لأن العهد أوسع وأعظم من البيعة؛ وقيل أنه سمي بالعهد لأنك من أجل أن تحافظ عليه لا بد أن تتعاهده كل فترة وتذكر نفسك به.

كما في ختام الصلاة تجدد العهد وتجلس جلسة التشهد كأنك بين يدي الملك، وتقول: (التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)[١٤]، فتجلس مستحضرًا أنك جالس بين يدي الله تعالى وبين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أيدي المؤمنين، ثم تؤدي التحية لله وللنبي والمؤمنين وتسلم عليهم، ولكن لا تسلم على الله، فالله هو السلام، وإنما تقول: (التحيات لله) أي: ما فعلته يا رب من ركوع وسجود هو لك وحدك، فهناك بعض الناس يحيون ملوكهم بالركوع، وآخرون يحيونهم بالسجود، وهناك من يقدم التحية بالوقوف، وكل هذه التحيات من وقوف وركوع وسجود لا تنبغي إلا لك يا رب، كل أفعالي لك يا رب، ثم تسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تقول: (السلام على النبي)، بل تقول: (السلام عليك أيها النبي) كأنك تستحضر وجود النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تسلم على المؤمنين. في هذه الجلسة تجدد العهد والميثاق أمام كل الناس ثم تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله)، ثم من باب (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)[١٥] تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه جاهد ليصل إلينا هذا الدين، وتتذكر جهد الخليل إبراهيم عليه السلام، فكأن مشهد الصلاة تجديد للعهد، وكذلك في الحج والعمرة تذهب لتجدد العهد والميثاق.

وقد ورد في بعض الآثار أن: "الذي يلمس الحجر الأسود كأنما بايع الله"، وبعض الناس يتمسحون بالحجر ليحل لهم مشاكلهم، وهم لا يدركون أن هذه بيعة! فالأمر أعظم من ذلك -وإن كان بعض العلماء قد ضعف هذا الأثر- ولكن الشاهد من ذلك أن العبادات فيها تذكير بالعهد.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

لماذا جاءت هاء الضمير مضمومة هنا؟ وللرد على هذا السؤال في التفسير نقسم الإجابة إلى: إجابة

---

[١٤] كُنَّا نَقُولُ: التَّحِيَّةُ في الصَّلَاةِ، ونُسَمِّي، ويُسَلِّمُ بَعْضُنَا علَى بَعْضٍ، فَسَمِعَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: قُولوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ والصَّلَوَاتُ والطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أيُّها النبيُّ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وعلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، فإنَّكُمْ إذَا فَعَلْتُمْ ذلكَ فقَدْ سَلَّمْتُمْ علَى كُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ في السَّمَاءِ والأرْضِ..

الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ١٢٠٢ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**

[١٥] من لم يشكُرِ النَّاسَ لم يشكُرِ اللهَ.

الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: ١٩٥٥ | خلاصة حكم المحدث: **[حسن صحيح]**

نحوية، وإجابة بلاغية.

فنحويًّا نثبت أن هذا جائز في اللغة حتى لا يطعن أحد في القرآن –مثل بعضهم عندما قالوا ﴿وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾[الحج: ٣٥] لماذا لم تأت مرفوعة؟ فيقولون وجدنا خطأ لغويًا في القرآن! فعلينا أولًا أن نثبت أن الصيغة صحيحة نحوًا ولغة، ثم نسأل لماذا جاءت هكذا؟ وهذه إجابة البلاغيين. فالنحويون قالوا أن: ﴿عَلَيْهُ﴾ لا يعد خطًا لغويًا، بل على العكس هذا هو الأصل، فهاء الضمير المتصل تكون مبنية على الضم، كما في قولنا: (منهُ). ويأتي الضمير مكسورًا عندما يأتي قبله حرف الياء، ومن المعلوم في اللغة العربية أن الحركة تُغيّر لعلتين: التعذر، والثقل.

إذًا، النحْويون أثبتوا أن هذا التغيير ورد في كلام العرب، حتى لا يقول أحد أن القرآن يحوي أخطاءً لغوية.

ففي أيامنا هذه نجد بعض من يريد أن يطعن في القرآن يدّعي أنه وجد فيه أخطاءً لغوية، على الرغم من أنه قد مضى أكثر من ١٤٠٠ سنة على نزول القرآن، وقد مر على أفصح الناس ولم يجدوا فيه خطأً لغويًا واحدًا، أفوجدت أنت أيها الأعجمي فيه خطًا لغويًا؟!، وهذا مَثَلُهُ كمثل مَن لا يفقه شيئًا في الطب، ثم يدعي أنه وجد خطًا في دواء اجتمع جميع أطباء العالم على فائدته، ولأننا أعاجم في اللغة –للأسف– أصبح من السهل أن تنطلي مثل هذه الأفكار على البعض!

وتلك الإجابات –التي تشرح سبب تغيير الإعراب– جميعها اجتهادات لأهل البلاغة أو النحْويين، مثل كتب (توجيه القراءات) التي تشرح السبب وراء اختلاف القراءات، وتفسر السبب وراء شكل كل قراءة، فحفص مثلًا قرأها ﴿عَلَيْهُ﴾ بضم الهاء، ولكن غالب القُرَّاء قرؤوها ﴿عَلَيْهِ﴾ بكسر الهاء، وهناك موضعين عند حفص غُيِّرت فيهما حركة الهاء.

إذًا؛ فكما ذكرنا سابقًا فإن ضمير الهاء يأتي مضمومًا في الأصل، ولكنه إذا جاء بعد حرف الياء يكون مكسورًا، –وذلك لأن اللغة تغير الحركات في آخر الكلام لسببين: التعذر (استحالة النطق بها)، والثِقَل (ثقلها على اللسان) –لثقل الضم بعد الياء– سواء كانت الياء ساكنة سكونًا حيًّا، وهو السكون المنطوق على حرف الياء، مثل: عليْه، أو سكونًا ميتًا، وهو حركة حروف المد الثلاثة (الواو، والألف، والياء)، مثل: فيه–.

أما عن سبب قراءة الهاء هنا على وجه الخصوص كما في الأصل –وهو ضم الهاء–، رغم أنها جاءت بعد حرف الياء، وهذا فيه بعض الثقل على اللسان، فقد قيل فيه أنه كان لثقل البيعة، فثقل النطق يوافق

ثقل البيعة، وهذا من إعجاز اللغة.

ومثالٌ آخر على ذلك هو قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾[الرعد: ٣٤] فجاءت كلمة ﴿أَشَقُّ﴾ صعبة النطق، وذلك لمشقة العذاب.

فقد كان العرب قديمًا يغيرون في الكلمات حَسْبَ صعوبة الكلمة أو صعوبة معناها، فتجده يضيف حروفًا زائدة أو حركات لتوضيح المعنى.

وقد ذكر الشيخ البحياوي وهو يشرح هذه الجزئية مثلًا مشهورًا عند العرب: أن رجلًا سأل أحد الأعراب الذين يفقهون في اللغة –واللغة حس–، فقال له: "ما تسمون هذا؟" –وكان قاربًا صغيرًا مارًا– فقال له: "نسميه شُقْذُف". فمرت سفينة ضخمة، فسأله: "وما تسمون هذه؟"، فأجابه: "نسميها شُقْذاف–بمد الألف طويلًا–"، فتساءل الرجل عن السبب الذي دفع الأعرابي لمد حرف الألف هكذا، والإجابة كانت لأن حجم السفينة ضخم.

تلك القواعد وضعت لأننا لا نفقه شيئًا في اللغة العربية –للأسف– فوضعوا قاعدة في البلاغة هي: "الزيادة في المبنى زيادة في المعنى".

أي: كلما زادت حروف الكلمة، كان مقصدك الإشارة إلى زيادة في الشيء الذي تصفه. ومثال ذلك كلمة ﴿تَسۡتَطِعۡ﴾[الكهف: ٧٢]، و﴿تَسۡطِع﴾[الكهف:٨٢] في سورة الكهف، فزيدت التاء، لأن المقدرة على الصبر أثناء تلك المواقف من دون تفسير صعبة، لكن ﴿تَسۡطِع﴾ جاءت هكذا، لأن الخضر كان قد فسَّر لسيدنا موسى عليه السلام ما رآه من أفعال، فلم يعد هناك غموضٌ يشوبُها. والشاهد أن هذا تكرر كثيرًا في القرآن، وكل حرف له معنى.

وبهذا نستنتج أن ثقل نطق كلمة ﴿عَلَيۡهُ﴾ مقصودٌ، وقالوا أنه أفاد فائدة عظيمة جدًا، فلفظ الجلالة سيُقرأ مفخمًا في هذا الموضع لمجيء حرف مضموم قبله، فعندما يأتي قبله ضم يفخم، وعندما يأتي قبله كسر يُقرأ مرققًا.

﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ فعندما تنطقها هكذا وتكون ثقيلة عليك، وتفخم لفظ الجلالة تشعر بقيمة البيعة، فانظر إلى هذا الإعجاز!، وهذا الموضع يحتاج اهتمامًا وتركيزًا، فلا ينبغي أن يمر موضوع البيعة هكذا.

والموضع الآخر –سريعًا– الذي جاء في قراءة حفص ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾[الكهف: ٦٣]، فهاء الضمير المتصل جاءت بعد ياء، وكان الأصل أن تأتي مكسورة، وكثير من القراء العشر

يقرؤونها على الأصل ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، فلماذا جاءت هذه مضمومة؟

لأنك تحتاج إلى تركيز حتى لا يخدعك الشيطان، وتحتاج إلى تركيز على مداخل الشيطان، لذلك تتغير الحركة وتأتي ثقيلة على اللسان حتى تنتبه للشيطان، لأن الشيطان جعل يوشع بن نون ينسى، فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، فحركة على الحرف أعطت معنى آخر.

وكما قلنا أن الحركة في: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ أفادت أن يُنطق لفظ الجلالة مفخمًا.

﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾: و"السين" تختلف عن "سوف"، حيث أن "سوف" تفيد أن المستقبل قد يكون بعيدًا نوعًا ما، أما "السين" للقريب. ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾ أي إن شاء الله ينال أجره في الدنيا قبل الآخرة. ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: ﴿أَجۡرًا﴾ هنا نكرة، والنكرة لا توصف، وتأتي النكرة نكرةً: إما للتعظيم، أو للتحقير، وهنا أتت للتعظيم، حيث رُوي عن ابن عباس –وذكر هذا الإمام الواحدي– أنه قال: "العظيم لا يوصف"، أي أن ثواب من قاموا بالبيعة لا يوصف، فيقال لك فقط أنه عظيم، لأن عقلك لن يستوعبه، أي أن عبارة "العظيم لا يوصف" تعني أنه من كثرة عظمته لا تستطيع العقول أن تتحمل وصفه، فنكتفي بكلمة "عظيم" إلى أن يراه أهل هذه البيعة –نسأل الله أن نكون منهم–. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾[السجدة: ١٧]، أي: **ثواب قيام الليل لا يوصف**، وكل ما سيقوله الله لك أنه مخفي، فربنا أخفى هدية خاصة لا توصف لأهل القيام المواظبين على القيام، فهنالك ثوابات في القرآن تُركَت مبهمةً لعظمتها، فلا توصف لعظمتها. وهذا أيضًا مثل ما جاء في الحديث المشهور (آخر أهل الجنة دخولًا يخرج من النار ويدخل الجنة يقول له الملك سبحانه وتعالى تمنى، فيتمنى أشياءً، فيعطيه الملك سبحانه وتعالى، فيقول له الملك سبحانه وتعالى أتحب أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا، فيقول: أحب يا رب، رضيت يا رب، فيقول له: فلك مثله ومثله ومثله فيقول: رضيت يا رب، فيقول: وعشرة أضعاف، فيتعجب موسى عليه السلام، ويقول: يا رب هذا لأدناهم منزلة فكيف بأعلاهم؟، فقال الله عز وجل: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)[16]

---

[16] سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ،

فثواب أعلاهم منزلة لا يوصف، أما أدناهم منزلة فمن الممكن أن نقرّبه ونتخيله، فمهما بلغ مُلك أحد ملوك الدنيا ومع قمة التقدم وفي آخر الزمان وحتى عشر أضعافه، مع أنه سيكون ثوابًا عظيمًا جدًا، لكن من الممكن أن نقربه، لكن هناك ثوابات في القرآن تترك هكذا لعظمتها، ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ والعظيم لا يوصف.

وبعد آية البيعة، هناك من وفَّى بها –وهؤلاء هم الصحابة– وسيذكر ثوابهم فيما بعد ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ﴾ ثواب الرضوان وبيعة الرضوان، وهناك نموذج للناكثين ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾[الفتح: ١١]. سنترك هذه الآية للمرة القادمة لنبين الإعجاز فيها، ونبين كلماتها، ونذكر أنواع النفاق.

أسأل الله أن يمنّ علينا بإكمال هذه السورة وأن يفهمنا ويبصرنا، حيث سنتحدث بإذن الله عز وجل عن أنواع النفاق، وأن النفاق دركات، وكيف أن المنافق في بعض الأحيان يحب أن يُحسن صورته فيقول: أنا شبه منافق، فهو هنا لا يقول أنا مؤمن، وإنما أحب أن يحسن صورته. وما هي دركات النفاق –نسأل الله عز وجل أن يعصمنا منها–؟، سنذكرها بإذن الله في الدرس القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فيقول: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ} [السجدة: ١٧] الآيَةَ. وفي رواية: إنَّ مُوسَى عليه السَّلامُ سَأَلَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ عن أخَسِّ أهْلِ الجَنَّةِ مِنْها حَظًّا، وساقَ الحَدِيثَ بنَحْوِهِ..

الراوي: المغيرة بن شعبة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ١٨٩ | خلاصة حكم المحدث: **[صحيح]**